

● أصبحت قضية الغزو الفكري اليوم من اشد القضايا خطراً . وتبدو ظواهر هذا الغزو المدمر في قلوب وعقول كثير من مثقفينا في هذا العصر واضحة بينه . والسلاح الذي يتخذه الغزو الفكري مدمر قتال يؤثر في الأمم والمجتمعات اكثر مما يؤثر المدفع والصاروخ والطائرة ! وقد ينزل الى هذا الميدان ويعظم خطره حين تخفق وسائل الحديد والنار في تحقيق الهدف والوصول إلى الغاية ، والخطر الذي يحتججه هذا الغزو اكثر بكثير من قتل الأفراد ، بل من قتل جيل بأسره ، اذ يتعدى ذلك الى قتل اجيال متعاقبة ، والسلاح الذي يستعمله هذا الغزو هو سلاح الحيلة والشبهات وتحريف الكلم والخديعة في العرض . وقد استغل اعداء الاسلام كل شيء لذلك ، حتى المنظمات الخيرية ، جعلوا منها منبراً يغزون منه عقول المسلمين ، وينالون من دينهم .. حتى منظمة (اليونسكو) التابعة للامم المتحدة التي تضم ١٢٠ دولة ، استغلها اعداء الاسلام في محاربة الاسلام ، فافترت على ديننا حين رددت مقولات المبشرين والمستشرقين فيه ، مع أن الدول العربية والاسلامية تقوم بامدادها بمساعدات كبيرة كل عام ! ●

كلام في الغزو الفكري

بمقام : ابراهيم النعمة

ان هذه المنظمة - اليونسكو - تشرف على موسوعة تعرف باسم (تاريخ الجنس البشري وتقدمه الثقافي والعلمي) .. وفي الجزء الثالث من هذه الموسوعة (الحضارات الكبرى في العصر الوسيط) الذي ترجم عن الفرنسية الى الانكليزية ، نجد في الفصل العاشر حديثاً مسهباً عن العرب ، قد ملء بالتشويه والمسح لتاريخ الاسلام ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه !

والذي مهد للثقافات الاجنبية التي لا نعت الى امتنا بنسب من قريب او بعيد ، ولا تتفق مع عقيدتنا في قليل ولا كثير ، ان تتغلغل في مجتمعاتنا كلها هو ذلك الجمود الحضاري الذي كانت عليه امتنا في عصورها المتأخرة ، اذ مات فيها التوهج الفكري والابتكار الحضاري !

وقد وضع اعداء الاسلام لغزومهم ، اهدافاً لا تتحقق الا بعد فترة ليست بالقصيرة من الزمن لئيم ابعاد المسلم عن دينه بأسلوب هادئ ، لا إثارة فيه ولا استفزاز ، فتتم المؤامرة الخطيرة التي قلما يشعر بخطورها وابعادها في اول الامر احد . وقد حرص هؤلاء على ان يكون التغيير ، بل الهدم الذي يريدونه - على يد ابناء من جلدتنا ، يتكلمون بالسنتنا . لان هؤلاء اكثر تأثيراً من غيرهم ، فيعملون اولاً في هدم العقيدة الاسلامية ، ثم في افساد الاخلاق والعبادات الاسلامية !

من أهداف الغزو الفكري :

ونستطيع أن نقرر أن من أهداف الغزو الفكري مسخ شخصية الأمة المسلمة ، وقبر منابع الإصالة والابتكار والإبداع فيها ، وتحريف مقومات امتنا الحضارية ، وإثارة العجز في نفوس المسلمين .. وبهذا يتوقف النمو الحضاري ، حين يشعر المسلم بالتخلف ، وعدم قدرته على مسايرة حضارات العالم ! ومن أهدافه نقل المسلم من عقيدته وشريعته وروحانيته وقيمه وفكره الى عقيدة الغرب وقانونه وفكره وثقافته ونمط عيشه ، لينقطع المسلم عن قوته المعنوية التي تمدد بأسباب القوة ،

● استخدم الغزو الفكري السينما والمسرح والتمثيلية والقصة والإذاعة والتلفزة والكتب والمجلات فيما يحقق ● غرضه

..وقد تعهد مصطفى كمال للانكليز وحلفائهم بكل ما يطمئنهم الى ان استقلال تركيا لن يكون خطراً عليهم ، ولن يسبب لهم في المستقبل ما يقض مضاجعهم ، وعند ذاك املى الانكليز شروطهم المعروفة بشروط (كرزون) الاربعة وهي :

- ١ - أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام .
- ٢ - أن تلغي الخلافة .
- ٣ - ان تتعهد باخماد كل حركة يقوم بها انصار الخلافة .
- ٤ - ان تختار تركيا لنفسها دستوراً مدنياً ، بدلا من الدستور العثماني المستمد من احكام الشريعة الاسلامية والقائم على قواعدها .

وقد نفذ كمال اتاتورك شروط (كرزون) ، بل تحمس الى تنفيذها اكثر من تحمس الانكليز انفسهم ، وانسحبت جيوش الحلفاء من تركيا - بعد ذلك - لكن هذا الانسحاب لاقى معارضة شديدة من قسم من النواب الانكليز . ولما وقف (كرزون) في مجلس العموم البريطاني يتحدث عن هذا الاتفاق مع تركيا ، انهالت عليه الاحتجاجات قائلين :

(كيف اعترفت انكلترا باستقلال تركيا التي يمكن ان تجمع حولها الدول الاسلامية مرة اخرى وتهجم على الغرب ؟ فاجاب (كرزون) : لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم ، لاننا قضينا على قوتها المتمثلة في امرين : الاسلام والخلافة ، فصفق النواب الانكليز كلهم وسكتت المعارضة) .

ومما يبعث على الاسي - حقا - ان نجد من حكام المسلمين كالخديوي اسماعيل الذي استعان بملوك اوربا الذين ايدوه في انفصال مصر عن الدولة العثمانية على (ان يبذل احكام القران فيما يتصل بالحياة السياسية والاجتماعية ، ويفصل السياسة عن الدين ، ويطلق الحرية للنساء بحيث يسرن في اثر المرأة الغربية ، وينتقل الى مصر معالم المدنية الأوروبية) .

وقد حدث ذلك ، فحل القانون الفرنسي محل الشريعة الاسلامية . وبعد سبع سنوات من احلال القانون الفرنسي محل شريعة الاسلام احتل الانكليز مصر سنة ١٨٨٢ ، لكن انكلترا لم تغير من القانون الفرنسي الذي كان يطبق في مصر شيئاً ، بل ابقته كما كان ، وهذا سبباً ريب - كسب كبير لفرنسا - لكن انكلترا رضيت به ، لان هدف كل من البلدين واحد : هو القضاء على شريعة الاسلام ! .

خطة جديدة :

لقد شنت اوربا ثمانى حملات صليبية على الشرق الاسلامي ، وقد باءت هذه الحملات بالافخاق والهزيمة ، فـ (القديس لويس التاسع) قائد الحملة الصليبية الثامنة وملك فرنسا ، وقع اسيراً في (المنصورة) في مصر ، ثم خلص من الاسر بقدية . ولما عاد الى فرنسا

الغربي والروح الغربية ، وصاروا من اقوى العوامل واشدها خطراً في تحويل العالم الاسلامي الى الوجهة الغربية في كل شيء : وهكذا تصدعت حصون امتنا من الداخل ، وتفككت روابطها فخسرت خسارة كبيرة !

ومما لا ريب فيه ان الاستعمار بجميع اشكاله وانواعه ما دخل بلداً من بلاد المسلمين الا اعلنها حرباً سافرة في كثير من الاحيان ، وخفية في احيان اخرى على شريعة الله رب العالمين متبعاً انواع الخديعة - كلها - في ذلك ، عاملاً على احلال القوانين الغربية محل شريعة الاسلام . وقد تمكن المستعمرون من ذلك كله لان عملية الغزو الفكري الذي قام به قبل احتلال البلاد قد نجح فيه نجاحاً كبيراً ، ووجد من يساعده ويسانده في عملياته الخبيثة تلك ! فالهند - مثلاً - قبل ان يحتلها الانكليز ، كانت قوانينها مستمدة من شريعة الاسلام .. وقال العمل بها قائماً فترة طويلة من الزمن ، بل ان يد السارق كانت تقطع فيها حتى سنة ١٧٩١ م ، لكن الانكليز ظلوا يعملون في الغناء احكام من الشريعة الاسلامية حتى ما ابقوا منها الا قضايا الزواج والطلاق وقليلاً غيرهما !

ومثل ذلك ما حصل في السودان التي ظلت تحكم بالشريعة الاسلامية منذ الفتح الاسلامي حتى القرن التاسع عشر .. ولما احتلها الانكليز وضعوا لها قوانين ارضية بدلا من الشريعة الاسلامية (كقانون العقوبات رقم ١١ لسنة ١٨٩٩ ، وقد اخذ اساساً من قانون العقوبات الذي وضعه الانكليز للهند سنة ١٨٦٠) .

لقد كان الاسلام - ولا زال كذلك - يقوم بدور كبير في محاربة المستعمرين في كل مكان . ولا يخشى هؤلاء من شيء خشيتهم من يقظة العملاق الاسلامي ، لذلك عملوا على اسكات اي صوت اسلامي ينبعث من اي مكان كان في اقطار الدنيا كلها !

الخوف من الخلافة :

ونستطيع ان ندرك طرفاً مما ذكرته بما حدث بين (كرزون) وزير بريطانيا و (عصمت اينونو) المندوب التركي في المفاوضات في مؤتمر (لوزان) المنعقد في ٢٠/١١/١٩٢٢ ، فقد قال (كرزون) لـ (عصمت) بكل صراحة :

(اننا لا نستطيع ان ندعمك مستقلين ، لانكم تكونون حينئذ نواة يتجمع حولها المسلمون مرة اخرى ، فتعود المسالة الشرقية التي عانينا منها طويلاً) .

وكانت عصمت يعود للبحث والمشورة الى انقرة التي اتخذها مصطفى كمال مركزاً لحكومته ، ثم رجع الى لندن لاستئناف المفاوضات ، وكانت تركيا حينئذ منهوكة القوى من الحروب الطويلة

إن درس الدين في أكثر البلاد الإسلامية يعتبر دون الانكليزية والرياضيات والفيزياء ولا يزال عند الكثيرين في مستوى الرسم والرياضة

مناهجها، ويلتزمون كل ما احتجته من عقيدة وفكر، لا يميزون بين صحيحها من فاسدها، ونفعها من ضررها، وقد اوحى الى قسم من المسلمين أن يعتقدوا أن التعليم في هذه المدارس خير دواء لمعالجة الداء الذي ألم بالعالم الإسلامي، ولم يدبر بخلد كثير منهم ما سوف تنتجه هذه المناهج المبنية على اساس تختلف وتتباين عن اساس الإسلام الصحيحة في العقيدة والشريعة والنظرة الى الكون والحياة والانسان :

(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الانكاد) (الاعراف : ٥٨) .

على ان هذه المدارس كانت تساندها جمعيات كثيرة : نمدها بالمال وبكل ما تحتاجه . ونستطيع ان ندرك اهمية هذه المدارس في اعمالها التخريبية باهتمام المستعمرين بها ، اذ انهم ما دخلوا بلاداً من البلدان الا كان اول ما فعلوه ان فتحوا المدارس قال القائد الفرنسي الجنرال (بيير كيلر) عن المعاهد الفرنسية في لبنان :

(.. فالتربية الوطنية كانت بكاملها تقريباً في ايدينا ، وفي بداية حرب عام ١٩١٤ - ١٩١٨ كان اكثر من اثنين وخمسين الف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا ، وكان بين هؤلاء لفتيان وفتيات ينتمون الى عائلات اسلامية عريقة) .

وهذه المدارس ادت دوراً عجزت عن ادائه اجهزة التبشير والاستشراق كلها . ويكفيها ان نعلم ان مؤتمر (ادنبرج) التبشيري الذي عقد عام ١٩١٠ وحضره ١٢٠٠ مندوبيه كان مما قرره ما يأتي :

(اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على ان معاهد التعليم الثانوية التي اسسها الاوربيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية . يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول اوربا كلها) . ويقول المبشر (نكلي) :

(ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً) .

ويقول المستشرق الانكليزي (هاملتون جب) .
(لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي من طريق المدرسة العصرية والصحافة ان يترك في المسلمين - ولو من غير وعي منهم - اثرأ يجعلهم في مظهرهم العام (لا دينيين) الى حد بعيد ولا ريب ان ذلك هو اللب الثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من اثار) .

المدارس الإسلامية :

ولقد ادرك قسم من المسلمين الخطر الرهيب الذي يحتجته التعليم الغربي - فيما بعد - فعملوا على ان يحتفظوا بآرائهم

ايقن ان قوة الحديد والنار لانجدي نفعاً مع المسلمين الذين يملكون عقيدة راسخة تدفعهم الى الجهاد ، وتحضهم على التضحية بالنفس وبكل غال .. اذن لابد من تغيير المنهج والسبيل ، فكانت توصيته ان يهتم اتباعه بتغيير فكر المسلمين ، والتشكيك في عقيدتهم وشريعتهم ، وذلك بعد دراستهم للإسلام لهذا الغرض ! وهكذا تحولت المعركة من ميدان الحديد والنار الى ميدان الفكر ! ان هذه الوثيقة الخطيرة ظلت مخفية عن انظار المسلمين ، بل العالم فترة طويلة ، ولم يكشف النقاب عنها الا في وقت متأخر جداً - قبل سنين قليلة - وقد اشارت اليها مراجع عديدة من كتب التاريخ الفرنسي كما ذكرها مؤرخه - ايضاً - (جرانفيل) وقد تحولت المعركة بهذه التوجيهات من الغزو العسكري الى الغزو الفكري ، فعلى شابنا ان يتفهم ويدرك ما اراد بهم اعداؤهم ، إذ قد نفذت هذه الخطة تنفيذاً دقيقاً ، ونجحت نجاحاً واضحاً ، نلمس اثاره في مجتمعات المسلمين اليوم !

مجالات الغزو الفكري :

كان الغزو الفكري الذي وجه الى العالم الإسلامي كله منظماً التنظيم كله ، فعمل على الدخول في مرافق الحياة كلها ، والهيمنة عليها ، واستغلالها لصالحه ، فاستخدم السينما والمسرح والتمثيلية والقصة والاذاعة والتلفزة والكتب والمجلات في ما يحقق غرضه . وقد حقق ما يصبو اليه وزيادة ، فانشأ جيلاً يحب الغرب والحياة الغربية ، بل يتفانى في سبيلها ! ولو حملت اوربا سلاحاً اكثر من الفسنة ، وجاءت بخيلها ورجلها ، وقضها وقضيضها الى العالم الإسلامي : تغزو وتدمر ، لما حققت من النجاح ما حققته في غزوها الفكري الذي اوهن الامة الإسلامية ، وتركها تتلوى المأ وترتمض اسي !

التربية والتعليم :

ومن اقوى الوسائل التي تمكن بها الغزو الفكري من الوصول الى هدفه هي التربية والتعليم والثقافة الأجنبية ، اذ بوساطة ذلك تم الاتصال بالمسلمين . وقد دخل الغزو الفكري الى العالم الإسلامي من باب يخيل الى السطحيين من الناس انه الباب الطبيعي ، اذ حمل اسم العلم والمعرفة والتمدن ، ومن يحارب ذلك الا الجاهل الاحمق ؟ يقول القس زويمر :

(المدارس احسن ما يعول عليه المبشرون في التحكك بالمسلمين)
لقد اقبل المسلمون على هذه المدارس بكثرة كثيرة يزدردون



كلام في الفن المكربي

من أهداف الغزو الفكري مسح شخصية الأمة

المسلمة ، وقبر منابع الأصالة والابتكار والابداع فيها
وبهذا يتوقف النمو الحضاري .

وفوق ذلك ، فقد اولت المدارس الاجنبية اهتماماً بالغاً في نشر
واذاعة تاريخ نابليون وفرنسا وانكلترا واللغتين : الفرنسية
والانكليزية ، في الوقت الذي اهملت اهمالاً متعمداً تاريخ
المسلمين واللغة العربية ، وفوق ذلك ما دست في هذه المناهج من
هجوم سافر ومبطن على الاسلام وتاريخه ولغته .. !

المدارس التبشيرية :

اما المدارس التي قامت بفتحها الارساليات التبشيرية ، فقد
كان خطرهما جسيماً على ابناء المسلمين ، ذلك ان هذه المدارس
كانت مستقلة ، غير خاضعة لرقابة الدولة .. فكانت مناهجها
ملئية - ايضاً - بالشبهات حول الاسلام وتاريخ المسلمين .. ان
نلك جعل المتخرجين يعرفون عن اديان المستعمرين كل شيء ،
ولا يعرفون عن دينهم أي شيء كان ، اللهم الا الشبهات الثقافية ،
والافتراءات والاضاليل !

ان المدارس التي قام بفتحها المستعمرون ، جعلت
المسلمين امام شرين احلاهما مر : فاما ان يستغنوا عن الدراسة
فيها ، فيؤول الحكم الى ايدى غيرهم . فيفقدوا نفوذهم ، واما ان
يقبلوا الدراسة فيها ، فيذوبوا في بوتقة المستعمرين ، ويخسروا
انفسهم وقدرتهم على مقاومة المستعمرين !

ولقد اختار كثير من المسلمين الامر الاول ، فلم يلتحقوا
بمدارس المستعمرين ، فكانت النتيجة ان تقدم غيرهم في تسنم
وظائف الدولة المهمة : كما حصل في الهند ، لكن الهنود المسلمين
لم يتركوا الامر هكذا بل اقدموا على انشاء مدارس تخدم الفكر
الاسلامي ، وتقدم المسلمون يبذلون اموالهم بسخاء لهذه الغاية .
ولم تكن الهند - وحدها - قد فعلت ذلك فحسب ، بل قامت مصر
والجزائر واندونيسيا بمثل ما قامت به الهند !

واذا كانت مدارس الارساليات التبشيرية والحركات
الاستعمارية قد تخلص منها المسلمون في كثير من اقطارهم الا ان
آثار تلك المدارس لا تزال موجودة الى يوم الناس هذا في قسم من
الاقطار الاسلامية ، على الرغم من تبديل تلك الاقطار للمناهج
التي وضعها المستعمرون وفتحهم المدارس الوطنية ، اذ لم
تستطع ان تتخلص هذه المدارس الوطنية من عقابيل المناهج
الغربية ، فقد حملت الخط العام لفكر المستعمر ومحاربة الاسلام
ولقد بذل المصلحون جهودهم - كلها - في ادخال مادة التربية

الاسلامي وذلك ببناء مدارس وجامعات تدرس فيها العلوم
الاسلامية ، من غير ان يكون للفكر الدخيل تاثير فيها . لكن
المسلمين لم يستطيعوا التوصل الى ما يريدون ، ذلك ان
الارساليات الاجنبية كانت تتمتع بنفوذ قوي ، وكانت الجامعات
الاجنبية تساندها قوة مادية كبرى ، فوق النفوذ الذي كان لدول
الجامعات الاجنبية .

وهكذا نشأ في المجتمع الاسلامي تياران متعارضان في
الثقافة والتعليم : التيار الاسلامي القديم ، وتيار الجامعات
الاجنبية الجديد .

مدارس الدولة :

اما مدارس الدولة ، فكانت مناهجها قريبة جداً الى مناهج
الارساليات التبشيرية والمدارس الاجنبية !

وقد ادت هذه الازدواجية في التعليم بين ثقافة الغرب
والثقافة الاسلامية الى تمزيق وحدة العالم الاسلامي .. وادى
نلك الى تكوين صراع فكري بين المسلمين انفسهم ، صار معه
النقاء المسلمين على فكر واحد وثقافة واحدة امراً يصعب
تحقيقه !

وقد فعل المستعمرون ذلك في الديار الاسلامية ، لانهم ارادوا
ان يندمج المسلمون مع المستعمرين اندماجاً تاماً كاملاً ، فيتمكن
المستعمرون من التأثير على فكر المسلمين ، فيجردونهم من
عقيدتهم وشريعتهم شيئاً فشيئاً ، وذلك بنشر لغة المستعمر ،
وتنشئة شباب الأمة على الولاء للمستعمرين فيستسلمون
لافكارهم وطرائق عيشهم في الحياة فيما بعد !

ونجد في كل دولة اسلامية تمكن المستعمرون من السيطرة
عليها عملاً دائماً مستمراً على نزع الاسلام من نفوس المسلمين ،
وتنشئتهم تنشئة لا دينية ، حتى ينشأ المسلم في مجتمع لا
يعرف عن دينه شيئاً .

ففي مصر كان تخطيط (دنلوب) مستشار وزارة المعارف دقيقاً
فقد تمكن ان يستاصل الروح الاسلامية ، وروح تاريخ العرب
والادب العربي من مناهج التعليم ، في الوقت الذي كان اهتمامه
شديداً في هذه المناهج (بالحضارة الفرعونية) !

وفي الهند كان الانكليز يركزون على المناهج التي وضعوها
في دراسة الحضارات الوثنية . وكذلك كان الامر بالنسبة لايران
وافغانستان وتركيا ..



● إن أمريكا جزء مكمل للعالم الغربي وذلك يجعلها تقف معادية

للمشرق الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي .

(ايوجين رستو)

مساعد وزير الخارجية الأمريكية

ينه منهجه ، أو تأخر مع تلاميذه ، فانه يسرع فيحول درس الدين الى المادة التي يدرسها !

التعليم الجامعي :

بعد أن سيطر المستعمرون على بلاد المسلمين أولوا جل اهتمامهم الجامعات الإسلامية : بمناهجها ونظامها ، وصاغوها صياغة خاصة ، تجعل المتخرج منها لا صلة له بالإسلام ، ويكون في الوقت نفسه أمياً في عقيدته وشريعته ، يقول الدكتور عبد الحلیم محمود شيخ الجامع الأزهر - رحمه الله - :
(ان الأمر قد وصل بالاستعمار ان صاغ خريجي كليات الحقوق بحيث لا يفهمون بعد (الليسانس) كتاباً عربياً في المواد التشريعية ، وليس الأمر بغريب .. ان جدول التدريس في كليات الحقوق يخصص عشرين محاضرة في الأسبوع للقوانين الأوروبية ، ومحاضرتين فقط للشريعة الإسلامية) .

ولم يكتف المستعمرون بذلك ، بل قاموا بفتح جامعات ومعاهد لتقوم بتوجيه أبناء المسلمين توجيهاً مباشراً : كالجامعات الفرنسية والأمريكية التي كانت تعمل عملها في القاهرة وبيروت واستانبول وغيرها . وكانت هذه الجامعات تخرج شباباً معجباً بالغرب وحضارته ، وتمكنت هذه الجامعات الغربية من منافسة الجامعات الإسلامية ، فانتزعت من الجامعات الإسلامية شبابها خاصة بعد أن جعلت الوظائف المهمة منحصرة في خريجي جامعات الغرب ، وأغدقت عليهم المرتبات الوفيرة ، في الوقت الذي ضيقت الخناق من الناحية المادية على خريجي الجامعات الإسلامية . ووصل الأمر بخريجي الجامعات الإسلامية ، ان صارت الأمثال تضرب بهم في فقرهم المدقع وعوزهم البائس ، لقلّة مرتباتهم ! وصور أحد الشعراء الحياة البائسة الذليلة التي كان يعايشها علماء المسلمين آنذاك فقال :

احبابنا نوب الزمان كثيرة
واخصهن امارة السفهاء
فمتى يفيق الدهر من سكراته
وارى اليهود بذلة العلماء ؟!

الدينية في المدارس والمعاهد .. ولقد حدث ذلك ، لكن المنهاج الذي وضع للتدريس لا يربط بين الإسلام والمجتمع والفكر ، فقد صيغَ مناهج دروس الدين وفق مناهج الفكر الغربي ، فكان الطلاب يدرسون الدين على انه منهج روهي فقط ، ليست له اية صلة أو علاقة بواقع الناس ، فكانت هذه المناهج تذكر نتفاً من القضايا الخلقية ، ولم تعط أي اهتمام كان للقضايا الإسلامية الأخرى من اجتماعية وسياسية واقتصادية وتشريعية .. فقد نظروا الي الإسلام نظرتهم الى ديانة أوربا سواء بسواء !

امارسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - فكانت سيرته تدرس كما ندرس سيرة قادة الأوربيين سواء بسواء ، من غير أن يهتموا بقضية نوبته - عليه السلام - فكانت سيرته تدرس كما تدرس سيرة نابليون وبسمارك وسواهما من قادة الغرب ، على انه انسان عبقرى ، استطاع ان يجمع الأمة العربية ويوحد بينها !

مكانة درس الدين :

ان درس الدين في اكثر البلاد الإسلامية - ان لم نقل كلها - يعتبر دون الإنكليزية والرياضيات والكيمياء والفيزياء .. انه لا يزال عند الكثيرين في مستوى الرسم والرياضة .. !
وصار درس الدين يعطى في الغالب لمن يريد ان يرتاح من المدرسين لكسله ، أو لتهربه من الواجب ، أو لكبر سنه ، ويعطى لمن يكمل نصابه من الحصوص ، بغض النظر عن صلاحيته لتدريس هذا الدرس الجليل أو عدم صلاحيته .. بينما لا يعطى درس الرياضيات - مثلاً - لغير المختص به ، وكذلك بقية العلوم لا تعطى الا للمختصين بها . وربما يعجب القارئ اذا قلت ان درس الدين كان يعطى حتى لمن لا يؤمن بالدين اصلاً ، أو لمن لا يؤدى الفرائض ، وقد يعرف عنه ارتكاب بعض الكبائر !
كما ان درس الدين يعطى لمعاون مدير المدرسة ، لان عمله في الإدارة قد يقتضيه ان يتغيب عن الدرس ، ولا حرج في التغيب عن الدرس ان كان درس دين ، بخلاف ما لو كان درس رياضيات أو إنكليزي أو فيزياء أو غير ذلك ، فتلك لا يجوز التغيب عنها .. ولا يهتم بعد ذلك مقدار ما ينهى من منهج الدين قل أو كثر !
وقد أصبحت حصّة مادة الدين مستباحة لكل مدرس مادة لم

● **اننا لا نستطيع أن ندعمك مستقلين ، لأنكم تكونون حينئذ نواة يتجمع حولها المسلمون مرة أخرى ، فتعود المسألة الشرقية التي عانينا منها طويلا .**

مكالمه
في
الغزوة
المكرية

وقال آخر :

بلغ أمير المؤمنين الذي قد عننا بالفضل واللفظ برهمة أضحى وديناره في سوق بغداد لدى الصرف اذل من طالب علم أتى لحاجة دائرة الوقف

وقد استعدت الجامعات العصرية مهاجها وبرامجها من المناهج والبرامج الغربية ، متجاهلة الدور الكبير العظيم الذي اسداه المسلمون الى الانسانية في مجال العلوم والآداب والروح والقيم . وكانت علوم الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء وغيرها تدرس في هذه الجامعات على انها نتاج غربي ليس الا ، وان المسلمين لم يكن لهم اي دور يستحق الذكر في هذه العلوم ! وكانت الفلسفات والنظريات الغربية والمذاهب السياسية والاجتماعية والتربوية الغربية تدرس في جامعاتنا على انها حقائق مسلمة لا على انها نظريات قابلة للصواب والخطا .. ولم يكن للفكر الاسلامي ونظراته في السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية اي نصيب يستحق الذكر !

وقد هدفت هذه المناهج الى ان تقف وقفة مضادة لما كان يقوم به الازهر وجامعتا الزيتونة والقرويين والمدارس الاسلامية في العالم الاسلامي . وبذلك يتخلل ويهتز فكر الشباب المسلم ، الامر الذي يؤدي - بطبيعة الحال - الى ان يتخرج الطلاب من هاتين الجامعتين ، وخريج كل منهما يختلف في تفكيره عن الآخر ، بل صار بينهما تضاد عميق وبون شاسع ؛ ووصل الامر ببعض هذه الجامعات العصرية ان صارت تحتفل بمولد اناس يعرفون بمعاداتهم الشديدة للاسلام ، وذمهم الكبير وانتقاصهم الواسع للعرب ؛ كما فعلت احدي الجامعات ، حين احتفلت بذكرى مرور مائة سنة على ولادة الفيلسوف (رينان) ! وتبنت هذه الجامعات العصرية وجهة النظر الغربية في الاسلام والعرب والشرق ، وذلك بتاثير المستشرقين الذين كانوا يدرسون فيها . وقد جعلت سوراً من حديد بين العلم الذي يدرسه ابناء المسلمين والاسلام الذي ينتسبون اليه ؛ هذا : وقد جعل الغربيون كثيراً من الجامعات الغربية - مؤخراً - تجمع بين العبادة والعلم ؛ ففي جامعة (اكسفورد) - مثلاً - تسع عشرة كلية وفي كل منها كنيسة ، والطلبة ملزمون بالصلاة فيها في اوقات معينة .. ولا يخفى على القارئ اللبيب الفرق الواسع بين الاسلام والعقيدة الاوروبية في موقفها من العلم ، فليتأمل !!

تجنب الاصطدام بالدين بشكل مباشر :

على ان الجامعات الغربية كان مخطؤها دقيقاً ، حيث عملت

على الوصول الى الهدف في تشكيك المسلمين بدينهم وتاريخهم وقيمهم من غير ان تصطدم اصطلاحاً مباشراً بالاسلام ، ومن غير ان تستثير من يحمل حبا للاسلام فتخسره ؛ وذلك في ترويج دراسات المستشرقين في القرآن والوحي والرسول واللغة العربية والعقيدة والشريعة . ومما يدلنا على ذلك ان الجامعة الامريكية في بيروت ، ظلت خمس عشرة سنة تدرس العلوم باللغة العربية ، ثم الغت ذلك وصار تدريسها بالانكليزية . وفي جامعة الجزائر كان التعليم بالفرنسية .. وكذلك الامر في معهد الدراسات العليا في تونس :

على ان هذه الجامعات الاجنبية يتخرج منها الطالب ، واولاؤه لدين غير دينه ، وحضارة غير حضارته ، وامة غير امته .. ان ذلك كله انكشف امام الناس انكشافاً واضحاً حين وقف عبد القادر الحسيني في حفل توزيع الشهادات على خريجي الجامعة الامريكية سنة ١٩٣٢ م ، والقى كلمة قال فيها :

(ان هذه الجامعة التي تظهر امام الناس في مظهر المدرسة العالمية ، ولكنها في الحقيقة تعمل على افساد العقائد الدينية ، وهي تطعن في الدين الاسلامي ، وان الجامعة الامريكية التي ادعت انها علمية محضة ، وليس لها ادنى علاقة بحوادث التبشير ليست كذلك) ، وقد أتى في كلمته هذه بأدلة قوية اثبت ما قرره !

ويعرب (ماسينيون) عن مهمة جامعات فرنسا تجاه الطلاب المسلمين فيقول :

(ان هؤلاء الطلاب المسلمين الذين يصلون الى فرنسا يجب ان يصاغوا صياغة غربية خالصة حتى يكونوا اعوانا لنا في بلادهم) .

وفوق ذلك ، فان جامعات الغرب كانت تقبل الطلاب الذين يدرسون العلوم النظرية والآداب والعقائد واللغات والفلسفات اكثر من قبولها الطلاب الذين يريدون دراسة العلوم التجريبية ، ان لم تقبل من طلاب المسلمين في العلوم التجريبية الا العدد القليل !

ويعود المبعوثون بعد ان اجرت لهم الجامعات الغربية عملية (غسل الدماغ) الى بلادهم ، وقد حملوا افكار المستعمرين نفسها التي تقلل من سلطان الاسلام واهميته ، بل توهنه وتضعفه ؛ واذا علمنا ان اقامة الطلاب في ديار الغرب حين الدراسة تكون فترة ليست بالقصيرة ، وان تلك الديار فيها من الانحراف والميوعة والضلال الشيء الكثير ، وان المقيم في تلك الديار يتاثر باعراف القوم ان لم تكن له حصانة من دينه ، تقية من شرور ذلك المجتمع الفاسد ، ادركنا ان قسماً من طلابنا ، بل كثيراً منهم ، سوف يتاثر بتلك البيئة ، لكن هذا التاثير يختلف من فرد لآخر قوة وضعفاً ، ايجاباً وسلباً !

هذا الغرس الخبيث كان من ثمراته ما نراه اليوم في العالم الاسلامي من اعراض وتجهم وتنكر وصدود لشريعة الله رب العالمين !!